

## الفصل التاسع

### التمام والختام

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَمَّمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْتَصِرٍ غَيْرٍ مُتَّجَانِفٍ لِإِثْمِي فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٣﴾﴾ [سورة المائدة - الآيات 3].

١

السنة: العاشرة من الهجرة.

وكانما كان نزول سورة التوبة، هو الفيصل عند من بقوا على شركهم أو كفرهم، بين حيرتهم وترددهم بين: الرغبة في والرغب عن دين الله الخاتم، فلقد تزايد وصول وفود العرب والروم والفرس، ما بين راغب في الدخول في دين الله، وراغب في دفع الجزية إقراراً بقوة وجود أمة لا إله إلا الله محمد رسول الله.

كما بقي البعض في أرض اليمن من اليهود لا يبدون رأياً، ومنهم بنو الحارث بن كعب، فبعث إليهم رسول الله ﷺ خالد بن الوليد، في أربعمئة مقاتل، وطلب منه أن يمكث بينهم ثلاثة أيام يدعوهم إلى الإسلام، ولا يحاربهم، فلما وصل إليهم جند الله، أرسل خالد بالمسلمين في كل ناحية، يدعوون الناس إلى دين الله، قائلين:

— يا أيها الناس، أسلموا تسلموا.

فأقبلوا عليهم مسلمين، فأخذ خالد يعلمهم كتاب الله، وسنة نبيه، ثم كتب إلى رسول الله ﷺ، يقول:

«بسم الله الرحمن الرحيم

لمحمد النبي رسول الله ﷺ، من خالد بن الوليد: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته؛ فإنني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو.

أما بعد، يا رسول الله صلى الله عليك، بعثتني إلى بني الحارث بن كعب، وأمرتني إذا أتيتهم ألا أقاتلهم ثلاثة أيام، وأن أدعوهم إلى الإسلام؛ فإن أسلموا قبلت منهم، وعلمتهم معالم الإسلام وكتاب الله وسنة نبيه، وإن لم يسلموا قاتلتهم.

وانى قدمت عليهم فدعوتهم إلى الإسلام ثلاثة أيام، كما أمرني رسول الله ﷺ، وبعثت فيهم ركبانا، قالوا: يا بني الحارس، أسلموا تسلموا.

فأسلموا ولم يقاتلوا، وأنا مقيم بين أظهرهم، أمرهم بما أمرهم الله به، وأنهم عما نهاهم الله عنه، وأعلمهم معالم الإسلام، وسنة النبي ﷺ، حتى يكتب إلى رسول الله، والسلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته».

فكتب إليه رسول الله ﷺ، يقول:

«بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد النبي رسول الله، إلى خالد بن الوليد، سلام عليك، فإني أحمد الله إليك الذي لا إله إلا هو، أما بعد، فإن كتابك جاءني مع رسلك بخبر أن بني الحارث، قد أسلموا قبل أن يقاتلوا، وأجابوا إلى ما دعوتهم إليه من الإسلام، وشهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدا عبده ورسوله، وأن قد هداهم الله بهداه؛ فيشرهم وأنذرهم، وأقبل وليقبل معك وفدهم، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته».

٢

اعتاد جبريل عليه السلام منذ فرض الصيام، أن يدارس رسول الله ﷺ القرآن أثناء اعتكافه في العشر الأواخر من الشهر؛ ولكنه عجل في قدومه، فاعتكف رسول الله ﷺ مرتين، مرة في العشر الأوسط، ومرة في العشر الأواخر.

وحين انتهت أيام الاعتكاف، خرج نبي الله ﷺ إلى صحابته، فأكثر من الجلوس إليهم، يفقههم في أمور دينهم، ويفيض عليهم مما علمه الله، ويوصيهم بالتمسك بشرع الله، ويبشّر الصابرين منهم بجنات النعيم، ويحذرهم من مغريات الدنيا فكل ما فيها إلى زوال، وأما ما عند الله في الآخرة فهو خير وأبقى.

ولم يكن ما يقوله الحبيب محمد ﷺ بغريب عليهم، فهو إمامهم، وهو لهم القدوة في القول والعمل.

فلما كان شهر شوال، أرسل على بن أبي طالب ﷺ إلى اليمن، فيما يزيد على الثلاثمائة من جند الله، ليدعو القبائل التي لم تدخل الإسلام بعد، وأوصاه ألا يقاتلهم، وأن يبدأ بدعوتهم إلى قول: لا إله إلا الله، فإن قالوا: نعم، فأدعهم إلى إخراج صدقة أموالهم ليردوها على فقرائهم، ثم قال ﷺ لعلي:

– والله لأن يهدي الله على يدك رجلا واحدا، خير مما طلعت به الشمس، أو غربت.

ودخلت أقوام كثيرة في الإسلام مختارين، وقاتلت «علياً» قلة منهم، فنصره الله عليهم، وغنم منهم غنما عظيما، قسمه بين الجند، وأبقى الخمس لله، ورفض أن يتصرف في شيء منه، حتى يرى رسول الله ﷺ رأيه فيه، وكتب بذلك إلى رسول الله ﷺ.

٣

ولما آن موعد الحج، أعلن رسول الله ﷺ عزمه على الخروج إلى مكة أداء لفرض من فروض الله،

ولركن الإسلام الخاتم، وسمع من حول المدينة بعزم الحبيب ﷺ على الحج، فتفاض الشوق لبيت الله يهز القلوب هزا، وتوافد الناس أفواجا، وقد زاد من شوقهم رغبتهم رفقة الحبيب محمد ﷺ لأطول مدة، ليسعدوا بنوره، ويأتوا به، ويقتدوا بهداه.

وتزينت المدينة وازدادت نورا، والمسلمون يفدون عليها من كل حذب بالآلاف، يسوقون الهدى، ويلبسون، ويكبرون، ويحمدون الله على ما هداهم، وعلى ما رزقهم، وجميعهم قاصدون إلى حيث الإمام والقائد والحبيب محمد ﷺ.

تحرك الموكب المهيب، خارجا من المدينة، قاصدا بيت الله الحرام، وكلما مر بمكان، انضم إليه أهله، حتى وصل عدد الحجيج على مشارف مكة، ما يزيد على المائة وأربعة عشر ألفا، وتجدد فيهم التصوير الرباني في سورة الحج، كل التجسد: ﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَكُم مِّنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾﴾

فالناظر من فوق جبل، يرى أمامه رجلا من كل القبائل، قد ضمرت أبدانهم جهادا في سبيل الله، فبدوا عماليق تتناول جباههم لتلامس ذرى الجبال الشامخات، يسعون في إصرار وعزم، يرددون تلبية نبيهم ﷺ في عقيدة، مستجيبين لدعوة داعي العظيم:

– لبيك اللهم لبيك.

– لبيك لا شريك لك لبيك.

– إن الحمد والنعمة لك والملك.

– لا شريك لك.

وترج الجبال رجا من صدق التردد وقوته، بينما تتصاعد سحابات الغبار إلى عنان السماء تحمل التلبية، وتعبّر عن مكابدة المخلصين سعيا لإرضاء الله، فتضيف على الموكب مهابة ورهبة، تزلزل قلوب اللائذين بوساوس الشياطين..

فهؤلاء والله هم أهل الحق.

ولما وصل رد رسول الله ﷺ لعلى، وفيه أعلمه بخروجه للحج، وطلب منه أن يلحق به، فولى «على» إمارة الجيش لأبي رافع، وأسرع ليلحق بالحبيب في مكة.

٤

وصلت جموع الحجيج إلى مشارف مكة، تسبقها أصوات التكبير والتهليل، وكان من انتوى الحج ومن لم ينتو من أهلها، قد خرجوا من مساكنهم ينتظرون حجاج بيت الله، أملين في رؤية نور الحبيب محمد ﷺ، ولقاء الأقارب من المهاجرين.

ولما أملت طلعة البيت الحرام، رفع الحبيب محمد ﷺ يديه إلى السماء، ودعا ربه، قائلا:

- اللهم زد هذا البيت تشريفا وتعظيما وتكريما ومهابة وبراً.

ثم نزل الحبيب ﷺ عن راحلته، وتوضاً من ماء زمزم، وتوجه إلى الكعبة فكبر ثلاثاً واستلم الحجر الأسود، وابتدأ طواف القدوم: أسرع في ثلاث طوافات، ومشى في الأربع المتبقية، ولما انتهى من طوافه، اتجه إلى مقام إبراهيم، صلى خلفه ركعتين بقراءة سورتي: الفاتحة والكافرون في الركعة الأولى، وقرأ في الركعة الثانية سورتي: الفاتحة والإخلاص؛ وحين انتهى من صلاته، قرأ من سورة البقرة قول الله تعالى: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنَا وَانْتَدُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُضِلًّا وَعَهَدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْمُكَرِّمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴿١٢٥﴾

واستلم الحبيب محمد ﷺ الحجر الأسود، ثم اتجه إلى زمزم فشرب من مائها، وحث الخطى إلى الصفا، فلما استوى فوقه، قرأ من سورة البقرة قول الله تعالى: ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن سَعَابِرِ اللَّهِ فَمَن حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٥٨﴾

ثم قال الحبيب ﷺ:

- نبدأ بما بدأ الله تعالى به.

ثم اتجه ببدنه ناظراً إلى البيت، وكبير، وقال:

- لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد، وهو على كل شيء قدير، لا إله إلا الله، وحده، أنجز وعده، وصدق وعده، وهزم الأحزاب وحده.

ودعا الله تعالى بما شاء، ثم نزل، ورمل ومشى، حتى إذا رقى المروة نظر إلى البيت، وقال مثلما قال وهو على الصفا، ودعا ربه، ونزل فرمل ومشى؛ فلما أتمها سبعة أشواط، قال:

- يا أيها الناس، لو استقبلت من أمري ما استدبرت، لم أسق الهدى، ولجعلتها عمرة، فمن لم يكن معه هدى فليحل، وليجعلها عمرة.

فقال سراقه بن مالك:

- ألعامنا هذا يا رسول الله؟.

فقال الحبيب محمد ﷺ:

- للأبد، للأبد، للأبد، دخلت العمرة في الحج إلى يوم القيامة.

فحل الناس إحرامهم، وحلقوا وقصروا، وخلعوا ملابس الإحرام ولبسوا المخيط، إلا الحبيب ﷺ لأنه صحب معه هديه.

مكث ﷺ بمكة ثلاثة أيام هي: الثلاثاء والأربعاء والخميس، وكان يصلى الظهر والعصر والعشاء ركعتين، وقد رفض أن ينزل بدار من دورها، ونزل في خيمة ضربت له بجوار المسجد. وقد وصل على بن أبي طالب عائداً من اليمن، ورسول الله ﷺ بمكة، ثم لحق به أصحابه، فخرج يستقبلهم ليدخل بهم على الحبيب ﷺ، فوجد أكثرهم قد لبسوا من الخمس الذي جعل لله،

فغضب «على» غضبا شديدا، وطلب منهم أن يخلعوا ما لبسوا نهبا، فشكوه إلى الحبيب ﷺ، فسكت ولم يعقب.

فلما كان يوم الخميس، قال الحبيب محمد ﷺ للناس:  
- من استطاع أن يصلى الظهر بمنى، فليفعل.  
وركب الحبيب ﷺ إلى منى.

٥

اليوم: الجمعة، يوم التروية، الموافق الثامن من الشهر.  
الشهر: ذى الحجة.

السنة: العاشرة من الهجرة.

أحرم من تحللوا بعمره، وأهلوا للحج، وركب الحبيب محمد ﷺ، وخرج بالحجيج إلى منى، وهناك صلى بها الجمعة، وخطب في الناس، فبين لهم مناسك الحج.  
وقد صلى الحبيب ﷺ بمنى صلوات: العصر والمغرب والعشاء والصبح، ومكث حتى طلعت الشمس، ثم سار إلى عرفة، فنزل بخيمة ضربت له بنمرة.  
ولما أذن للصلاة، صلى الحبيب محمد ﷺ بالناس صلاة الظهر، ثم أقام فصلى صلاة العصر، ولم يصل بينهما شيئا، حتى إذا زاغت الشمس أمر بناقته،  
وركبها إلى وادي عرفة، وقد تحلق حوله الحجاج، ما بين ماش وراكب، فلما وصل بطن الوادي، حمد الله وأثنى عليه وخطب في الناس، فنهاهم عن الصوم في يومهم هذا، وقال:  
- إن دعائى ودعاء من كان قبلى من الأنبياء: لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، بيده الخير، يحيى ويميت، وهو على كل شيء قدير.

ثم ركب ناقته واتجه إلى الموقف بعرفة، فاستقبل القبلة وأخذ يدعو الله تعالى، بما فتح عليه به:  
﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ  
الْحَكِيمُ﴾ [سورة آل عمران - الآية ١٨].

ثم أعقبها بقوله:

- وأنا على ذلك من الشاهدين.. يا رب.

وكان من دعاء الحبيب ﷺ في هذا الموقف العظيم:

- اللهم اجعل فى بصرى نورا، وفى سمعى نورا، وفى قلبى نورا، اللهم اشرح لى صدرى، ويسر لى  
أمرى، اللهم أعوذ بك من وسواس الصدر، وشتات الأمر، وشر فتنة القبر، وشر ما يلج فى الليل، وشر  
ما يلج فى النهار، وشر ما تهب به الرياح، وشر بوائق الدهر.

اللهم إنك تسمع كلامى، وترى مكائى، وتعلم سرى وعلانيتى، ولا يخفى عليك شيء من أمرى، أنا

البائس الفقير، المستغيث المستجير، الوجل المشفق، المقر بذنبه، أسألك مسألة المسكين، وأبتهل إليك ابتهاج الدليل، أدعوك دعاء الخائف الضريب، من خضعت لك رقبتك، وفاضت لك عبرته، وذلك جسده، ورغم لك أنفه، اللهم لا تجعلني بدعائك رب شقياً، وكن ربي رءوفاً رحيماً، يا خير المسؤولين، ويا خير المعطين.

ولقد دعا الحبيب محمد ﷺ لأمته بالرحمة والمغفرة، فأكثر الدعاء، فأوحى له الله: إني قد فعلت إلا ظلم بعضهم بعضاً، وأما ذنوبهم فيما بيني وبينهم فقد غفرتها.

وتنزل على نبي الله ﷺ، وهو في هذا الموقف، قول الله تعالى في الآية الثالثة من سورة المائدة:

﴿الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا يَخْشَوهُمْ وَأَخْشَوْنَ الْيَوْمَ أَكَلَتْ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَمَّتْ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْصَصَةٍ غَيْرِ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٢٠﴾﴾

حتى إذا ما غربت الشمس حرك الحبيب ﷺ ناقته، وهو يقول للناس:

— أيها الناس، السكينة.. السكينة.

ولما وصل المزدلفة صلى بها المغرب والعشاء بأذان واحد، وإقامتين، ولم يسبح بينهما شيئاً، وجمع حصوات العقبة، ولما قرأ ما تنزل عليه، بكى عمر بن الخطاب، فسأله الحبيب محمد ﷺ:

— ما يبكيك؟

قال عمر رضى الله عنه:

— أبكاني يا رسول الله، أنا كنا في زيادة من ديننا، فأما إذ كمل فإنه لم يكمل شيء إلا نقص.

قال نبي الله ﷺ:

— صدقت.

وتوافق عليه أصحابه، فلما خرجوا من عنده، اضطجع حتى طلع نور الفجر، فصلى بهم الفجر بأذان وإقامة، ومكث حتى تبين له الصبح، فركب ناقته حتى أتى المشعر الحرام، فاستقبل القبلة: ودعا لله تعالى، وحمده، وكبره، وهلله، ووحده.

وقبل أن تطلع الشمس، سلك إلى الجمرة الكبرى فرماها بسبع حصوات، مكبراً مع رمي كل حصاة، ثم

انصرف إلى أرض النحر، وقال ﷺ: كل أرض مكة منحر، فذبح الأضاحي، وساعده على رضى الله عنه،

ثم طلب تقسيمها وتوزيعها، وأخذ قطعة لحم فطبخت، وأكل من لحمها وشرب من مرقها، وتلا قول الله

تعالى من الآية الثامنة والعشرين من سورة الحج: ﴿لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ

مَعْلُومَاتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعَمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ ﴿٣٨﴾﴾

ودعى الحلاق، فحلق له شعره، وركب إلى البيت فطاف طواف الإفاضة، وصلى بالناس صلاة العيد،

وخطب فيهم، فقال بعد أن حمد الله تعالى وأثنى عليه بما هو أهل له:

— أيها الناس، اسمعوا قولي واعقلوه، فإنى والله لا أدري لعلى لا أنقاكم بعد عامى هذا، فى موقفى

هذا، رحم الله امرأ سمع مقالتي فوعاها؛ أيها الناس، أى شهر هذا؟.

فسكت أغلب الناس، وقال بعضهم:

- الله ورسوله ﷺ أعلم.

وسكت الحبيب ﷺ قليلا، ثم قال:

- هذا شهر حرام، وأى يوم هذا؟.

فسكت الناس، فقال الحبيب محمد ﷺ:

- هذا يوم حرام، وأى بلد هذا؟.

فسكتوا، فقال:

- هذا بلد حرام.

ثم أستطرد الحبيب ﷺ، فقال:

- إن دماءكم وأموالكم عليكم حرام إلى أن تلقوا ربكم، كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا، في بلدكم هذا، ألا هل بلغت؟.

قال الناس:

- اللهم نعم.

قال الحبيب محمد ﷺ:

- اللهم فاشهد.

ثم قال:

- إنكم ستلقون ربكم فيسألکم عن أعمالکم، وقد بلغت، فمن كانت عنده أمانة فليؤدها إلى من ائتمنه عليها، وإن كل ربا موضوع، ولكن لكم رؤوس أموالكم، لا تظلمون ولا تظلمون، وإن ربا عمى العباس بن عبد المطلب موضوع كله، وإن كل دم في الجاهلية موضوع، وإن أول دمائكم أضع دم ربيع بن الحارث ابن عبد المطلب، وكان مسترضعا في بني ليث فقتلته هذيل، فهو أول ما أبدأ به من دماء الجاهلية. أما بعد، أيها الناس، فإن الشيطان قد يئس من أن يعبد بأرضكم هذه، ولكنه إن يطع فيما سوى ذلك، فقد رضى به مما تحقرون من أعمالكم، فاحذروه على دينكم.

أيها الناس، إن النسيء زيادة في الكفر، يضل به الذين كفروا، يحلون به عامًا ويحرمونه عامًا ليواطئوا عدة ما حرم الله، فيحلوا ما حرم الله، ويحرموا ما أحل الله، وإن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السماوات والأرض، وإن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا منها أربعة حرم، ثلاثة متوالية، ورجب الذي بين جمادى وشعبان.

أما بعد، فأيتها الناس، فإن لكم على نساءكم حقا، ولهن عليكم حقا، لكم عليهن أن لا يوطئن فرشكم أحدا، وعليهن ألا يأتين بفاحشة مبينة، وألا يعصين في معروف، فإن عصين، فإن الله قد أذن لكم أن تهجروهن في المضاجع، وتضربوهن ضربا غير مبرح، فإن انتهين فلهن رزقهن وكسوتهن بالمعروف، واستوصوا بالنساء خيرا، فإنهن عندكم عوان لا يملكن لأنفسهن شيئا، وإنكم إنما أخذتموهن بأمانة الله،

واستحللتهم فزوجهن بكلمات الله، فاعقلوا أيها الناس قولي، فإنى قد بلغت.  
وقد تركت فيكم ما إن اعتصمتم به، فلن تضلوا أبدا، أمرا بينا: كتاب الله، وسنة نبيه.  
اسمعوا قولي واعقلوه، إن كل مسلم أخ للمسلم، وإن المسلمين جميعا إخوة،  
فلا يحل لامرئ من أخيه إلا ما أعطاه عن طيب نفس منه، فلا تظلموا أنفسكم، اللهم قد بلغت.  
قال المسلمون:  
- اللهم نعم.  
فقال الحبيب محمد ﷺ:  
- اللهم فاشهد.

٦

عاد رسول الله ﷺ إلى منى، فأقام بها أيامها، يرمى الجمرات، ثم نزل إلى مكة، فطاف طواف الوداع، وأخذ طريقه راجعا مع الحجيج إلى المدينة.  
وفى الطريق تحدث إلى الناس بما يبين لهم قدر أهله عنده، قاصدا محو ما علق في أذهان بعض من صحبوا عليا فى رحلته إلى اليمن، من مظنة أنه يقسو فى معاملته لهم، فقال:  
- أيها الناس لا تشكرو عليا، فوالله إنه لأخشن فى سبيل الله من أن يشكى.  
ثم أخذ بيد على رضى الله عنه وقال:  
- من كنت مولاه فهذا وليه، اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه.  
وفى المدينة، وقف الحبيب محمد ﷺ على المنبر، وخطب فى الناس قائلا:  
- أيها الناس إن أبا بكر لم يسؤنى قط، فاعرفوا ذلك له، إنى عن أبى بكر وعمر وعثمان وعلى وطلحة والزبير وعبد الرحمن بن عوف والمهاجرين الأولين راض، فاعرفوا ذلك لهم.  
أيها الناس، احفظونى فى أصحابى وأصهارى وأحبابى، لا يطلبكم الله بمظلمة أحد منهم.  
أيها الناس، ارفعوا ألسنتكم عن المسلمين، وإذا مات أحد منهم فقولوا فيه خيرا:  
جلس صحابة رسول الله ﷺ فى المسجد بعد صلاة المغرب فقالوا:  
- لو جلسنا حتى نصلى معه العشاء.  
واستراحوا لما قالوا، فجلسوا، حتى خرج إليهم الحبيب ﷺ فقال:  
- ما زلتم ها هنا؟  
قالوا:  
- نعم.  
قال ﷺ:  
- أحسنتم.

ثم رفع رأسه إلى السماء، فقال:

– النجوم أمانة إلى السماء، فإذا ذهب النجوم أتى السماء ما توعد، وأنا أمانة لأصحابي، فإذا ذهب أتى أصحابي ما يوعدون، وأصحابي أمانة لأمتي، فإذا ذهب أصحابي، أتى أمتي ما يوعدون.  
وقال رسول الله ﷺ:

– سألت ربي عز وجل، عن اختلاف أصحابي من بعدي، فأوحى إلي: يا محمد إن أصحابك عندي بمنزلة النجوم في السماء، بعضها أقوى من بعض، ولكل نور، فمن أخذ بشيء مما هم عليه من اختلافهم، فهو عندي على هدى.

– أصحابي كالنجوم، بأيهم اقتديتم اهتديتم.

وقال رسول الله ﷺ في قدر صحابته رضوان الله عليهم:

– لا تسبوا أصحابي، فوالذي نفسي بيده، لو أن أحدا أنفق مثل ”أحد“ ذهباً، ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه.

– ما من أحد يموت من أصحابي بأرض، إلا بعث لهم نورا وقائدا يوم القيامة.

– خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم ثم إن بعدهم قوما يشهدون ولا يستشهدون، ويخونون ولا يؤتمنون، وينذرون ولا يوفون، ويظهر فيهم السمن، ويحلفون ولا يستحلفون، تسبق أحدهم يمينه ويمينه شهادته.

– أرحم أمتي بأمتي: أبو بكر، وأشدهم في أمر الله تعالى: عمر، وأشدهم حياء: عثمان، وأقضاهم: علي، وأعلمهم بالحلال والحرام: معاذ بن جبل، وأفرضهم: زيد بن ثابت، وأقرأهم: أبي بن كعب، ولكل أمة أمين، وأمين هذه الأمة: أبو عبيدة بن الجراح، وما أظلت الخضراء ولا أقلت الغبراء أصدق لهجة من: أبي ذر، أشبه بعيسى عليه السلام في ورعه.

– إنى لا أدري ما قدر بقائى فيكم، فاقتدوا باللذين من بعدي «وأشار إلى أبي بكر وعمر رضى الله عنهما» واهتدوا بهدى عمار بن ياسر؛ وما حدثكم ابن مسعود فصدقوه.

– رأيتنى دخلت الجنة فإذا أنا بالرمضاء امرأة أبي طلحة رضى الله عنهما، وسمعت خشخشة، فقلت: من هذا؟ قالوا: بلال. ورأيت قسرا يفنائه جارية، فقلت: لمن هذا؟ قالوا: لعمر بن الخطاب. فأردت أن أدخله فأنظر إليه، فذكرت غيرتك، فوليت مدبرا.

فيكى عمر وقال: أعليك أغار يا رسول الله.

قال له نفر من أصحابه رضى الله عنهم:

– يا رسول الله، أخبرنا عن نفسك؟.

قال رسول الله ﷺ:

– نعم، أنا دعوة أبي إبراهيم، وبشرى أخى عيسى، ورأت أمى حين حملت بى أنه خرج منها نور أضاء لها قصور بصرى من أرض الشام.

- إن مثل ما بعثنى الله به من الهدى والعلم، كمثل غيث أصاب أرضاً، فكانت منها طائفة طيبة قبلت الماء، فأنبئت الكلاً والعشب الكثير، وكان منها أجادب أمسك الماء، فنفع الله تعالى بها الناس، فشرّبوا منها وسقوا وزرعوا، وأصاب طائفة منها أخرى إنما هي قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلاً؛ فذلك مثل من فقه دين الله تعالى ونفعه ما بعثنى الله تعالى به فعلم وعلم، ومثل من لم يرفع بذلك رأساً ولم يقبل هدى الله الذى أرسلت به.

- إنما مثلى ومثلكم، كمثل رجل استوقد ناراً، فلما أضاءت ما حوله، جعل الفراش وهذه الدواب التى تقع فى النار، تقع فيها، فجعل ينزعهن، ويغلبهن، فيقتحمن فيها، فأنا آخذ بحجزكم عن النار، وأنتم تقتحمون فيها.

سأل جماعة من الصحابة، أمهات المؤمنين رضى الله عنهن وأرضاهن، عن عبادة رسول الله ﷺ، فلما اخبروا بما كان يفعل، قالوا:

- أين نحن من رسول الله ﷺ وقد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر؟.

وعزموا أمرهم، فقال أحدهم:

- أما أنا فأصلى الليل أبداً.

وقال الآخر:

- وأنا أصوم الدهر ولا أفطر.

وقال الثالث:

- وأنا أعتزل النساء، ولا أتزوج أبداً.

ولما علم رسول الله ﷺ بما قالوا، جاء إليهم، فقال:

- أنتم الذين قلتُم كذا وكذا؟.

قالوا:

- نعم.

قال رسول الله ﷺ:

- أما والله إنى لأخشاكم لله، وأتقاكم له، ولكنى أصوم وأفطر، وأصلى، وأرقد، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتى فليس منى.

سألت أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها، عن خلق رسول الله ﷺ، فقالت:

- كان «قرآناً» يمشى على الأرض.

قال أنس بن مالك:

- خدمت رسول الله ﷺ فلم يقل لى عن شىء لم أفعله، لم لم تفعله، ولا عن شىء تركته، لم تركته.

سئل رسول الله ﷺ:

- ما بالك تقوم الليل والنهار عابدا ذاكرا لله مستغفرا، وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟! .

قال رسول الله ﷺ :

- أفلا أكون عبدا شكورا.

قال رسول الله ﷺ :

- إنى لأستغفر ربي فى اليوم أكثر من مائة مرة.

٧

اليوم: الأربعاء، الثانى من الشهر.

الشهر: صفر.

السنة: الحادية عشرة من الهجرة.

كان رسول الله ﷺ، ببيت عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها، مريضا، فنهض من نومه فى جوف الليل، ولما هم بالخروج، سألته قلقة عليه:

- أين يا رسول الله، بأبى وأمى؟.

فأخبرها بأنه أمر بأن يستغفر لأهل البقيع، وخرج ومعه مولاة أبو مويهبة وسارا حتى أتيا البقيع، حيث مدافن المسلمين، فوقف أبو مويهبة على مبعدة تأديا، وتقدم الحبيب محمد ﷺ، ووقف عليهم وأخذ يستغفر الله لهم، وأطال فى الوقوف وأكثر من الاستغفار، ثم قال مخاطبا من سبق إلى الموت من صحابته رضى الله عنهم وأرضاهم:

- هنيئا لكم ما أصبحتم فيه، أقبلت الفتن كقطع الليل المظلم، يتبع بعضها بعضا، يتبع آخرها أولها، والآخرة منها شر من الأولى.

وحين انتهت، استدار وسار إلى حيث وقف أبو مويهبة، وقال له ﷺ:

- يا أبا مويهبة، إنى قد أعطيت خزائن الدنيا والخلد فيهما، ثم الجنة، فخيرت بين ذلك وبين لقاء ربي، والجنة.

قال أبو مويهبة:

- بأبى وأمى يا رسول الله، فخذ خزائن الدنيا والخلد، ثم الجنة.

قال الحبيب محمد ﷺ:

- يا أبا مويهبة، لقد اخترت لقاء ربي، والجنة.

□□□

المكان: بيت عائشة رضى الله عنها.

الوقت: ضحى.

اليوم: الاثنين، الثاني عشر من الشهر.

الشهر: صفر.

السنة: الحادية عشرة من الهجرة.

قال الحبيب محمد ﷺ:

- اللهم أعننى على كرب الموت.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ

عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ [سورة آل عمران - الآية ١٤٤].

﴿ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ [سورة البقرة - الآية ١٥٦].

صدق الله العظيم

obeikandi.com

---

## المصادر

الاستشهاد بالآيات	القرآن العظيم
الاستشهاد بالحديث	صحيح البخارى
ابن كثير	تفسير ابن كثير
القرطبى	تفسير القرطبى
للصابونى	صفوة التفاسير
للشعراوى	تفسير الشيخ الشعراوى
للسيوطى	أسباب ورود الحديث
للنووى	الأذكار المنتخبة
للإمام ابن عباس رضى الله عنه	الإسراء والمعراج
لابى الفرج	جامع العلوم والحكم
لابن حزم	جوامع السيرة النبوية
لليبهقى	دلائل النبوة
ابن القيم الجوزية	فتاوى رسول الله ﷺ
محمد الغزالي	فقه السنة
د. محمد سعيد البوطى	فقه السيرة
لابن هشام	سيرة الرسول ﷺ
لابن كثير	البداية والنهاية
للطبرى	تاريخ الطبرى
لمحمد بن يوسف الشامى	سبل الهدى والرشاد
لابن عبد البر	الدرر